الأئمة الإباضيون واعتمادهم على العيون والتجسس
فى إدارة دولتهم فى المغرب الإسلامى
(١٦٠ – ٢٩٦ هـ / ٧٧٧ – ٩٠٨ م)

د/ محمود عيسى
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب جامعة العريش

الملخص:

نظراً لأهمية دور العيون والجواسيس في حياة الأمم والشعوب جاءت الرغبة في معرفة الأخبار لما تتطلبه مصلحة الدولة في الحفاظ على أمنها وسلامتها داخلياً وخارجياً، وهذه الرغبة لم تكن وليدة العصر بل هي قديمة منذ فجر التاريخ، لذا فقد أولت الدولة الإسلامية عنايتها الفائقة كغيرها من الدول بالاهتمام بجمع المعلومات عن أعدائها، وهو ما يتضح من خلال ما خلفه الأسلاف من تراث في سياسة الحروب.

استطاع قادة الفتح في بلاد المغرب وخاصة أئمة الدولة الإباضية أن يصوبوا جل اهتمامهم في الاعتماد على العيون والجواسيس خاصة لعدم درايتهم بطبيعة الأرض الجديدة، وطبائع أهلها، فكفتهم مؤونة القتال، وقامت مقام تجنيد الجنود وسفك دماء الأبطال، شأن من تقدم من حكماء الملوك الذين حنكتهم التجارب، وكرعوا في بحار الحكمة، واغترفوا من حياض السياسة البالغة.وبناء عليه فقد تضمن البحث بيان مفهوم العيون والتجسس ومشروعيةاستخدام العيون والتجسس،واستخدام العيون والتجسس فى إقامة الدولة الإباضية ،والإمامة الإباضية الأولى في جبل نفوسة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م،وإمامة أبي حاتم الملزوزي[١] ١٥٤ هـ / ٧٧٠ – ٧٧١ م:وإمامة عبد الوهاب بن رستم(١٧١ – ٢١١ هـ / ٧٨٧ – ٨٢٦ م)وإذكاء العيون والجواسيس فى الصراع على ولاية جبل نفوسة ووقيام بعض الفتن المذهبية السياسية وإذكاء العيون والجواسيس بين أنصار ابن عرفة وأبى بكر بن أفلح ونهاية الدولة الإباضية.

Summary:

In view of the importance of the role of eyes and spies in the life of nations and peoples, the desire to know the news came about what the state's interest requires in preserving its security and safety internally and externally. By collecting information about its enemies, which is evident through the heritage left by the ancestors in the politics of war.

The leaders of the conquest in the Maghreb, especially the imams of the Ibadi state, were able to direct most of their interest in relying on spies and spies, especially because they were not aware of the nature of the new land.

Vkfthm fighting supplies, and took the place of recruiting soldiers and shedding the blood of heroes, like the progress of the wise kings who have been seasoned with experience, and sunk in the seas of wisdom, and were drawn from the pools of extreme politics. The establishment of the Ibadi state: and the first Ibadi imam in Jabal Nafusa 140 AH / 757 AD, and the imamate of Abu Hatim al-Malzuzi () 154 AH / 770 - 771 AD:And the Imamate of Abd al-Wahhab ibn Rustam (171 - 211 AH / 787 - 826 AD) and stoking eyes and spies in the struggle over the mandate of Mount Nafusa and the emergence of some sectarian political strife and stoking eyes and spies between the supporters of Ibn Arafa and Abu Bakr bin Aflah and the end of the Ibadi state.

المقدمة

لفت انتباهي اعتماد الأئمة الإباضيين على العيون والتجسس فى إدارة دولتهم فى المغرب الإسلامى فاستطاع قادة الفتح في بلاد المغرب وخاصة أئمة الدولة الإباضية أن يصوبوا جل اهتمامهم في الاعتماد على العيون والجواسيس خاصة لعدم درايتهم بطبيعة الأرض الجديدة، وطبائع أهلها، فكفتهم مؤونة القتال، وقامت مقام تجنيد الجنود وسفك دماء الأبطال، شأن من تقدم من حكماء الملوك الذين حنكتهم التجارب، وكرعوا في بحار الحكمة، واغترفوا من حياض السياسة البالغة .

هدف البحث:التعرف على مدى اعتماد الدولة الإباضية على العيون والجواسيس فى المغرب.

أهمية البحث:بيان كيفية استعانة الأئمة الإباضيين بالعيون والجواسيس فى إدارة دولتهم فى المغرب.

المنهج المستخدم فى البحث:المنهج التاريخى بما تضمنه من استقراء وتحليل للأحداث.

ولقد قسمت بحثي بعد المقدمة إلى تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد:تضمن بيان مفهوم العيون والتجسس ومشروعية استخدام العيون والتجسس،واستخدام العيون والتجسس فى إقامة الدولة الإباضية.

المبحث الأول: الإمامة الإباضية الأولى في جبل نفوسة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م، **المبحث الثانى**: إمامة أبي حاتم الملزوزي[٢] ١٥٤ هـ / ٧٧٠ – ٧٧١ م **المبحث الثالث**: إمامة عبد الوهاب بن رستم(١٧١ – ٢١١ هـ / ٧٨٧ – ٨٢٦ م)، **المبحث الرابع**: إذكاء العيون والجواسيس فى الصراع على ولاية جبل نفوسة ووقيام بعض الفتن المذهبية السياسية ،**المبحث الخامس**: إذكاء العيون والجواسيس بين أنصار ابن عرفة وأبى بكر بن أفلح ونهاية الدولة الإباضية.

الخاتمة متضمنة أهم النتائج.

تمهيد

مفهوم العيون والتجسس:

العيون لغة : العين هو الذي يبعث لتجسس الخبر (٣) ، وقيل هو جاسوس القوم (٤) ، وقيل هو الطليعة الذي يأتي بالخبر (٥) ، وهو الجاسوس تشبيهًا بالجارحة في نظرها (٦) ومن خلال استعراض هذه الأقوال نجد أن أهل اللغة ركزوا على صنو العين وهو الجاسوس ، وأن عمل العين والجاسوس لغة يتعلق بجلب الأخبار ، ويبحث عن مواضع ضعف العدو وعن حركاته .

العيون اصطلاحًا : إن استخدام المصطلح التاريخي والمحافظة على مدلولاته الفكرية بالطريقة التي ورد فيها ، هو أمر بالغ الأهمية ، يرتبط بالهوية الثقافية للأمة ، ويعزز الثقة في نفوس أبنائها ، ويدفعهم إلى التمسك بهذه المصطلحات ذات التطبيقات التاريخية المضمونة ، بدلاً من التنقل بين مصطلحات جاءت إلى ساحتنا الفكرية ، عبر النقل الحرفي لبعض المصطلحات الغربية .

وبالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي نجد تآلف المعنيين والاتفاق في الدلالة ، وبذلك يمكن القول بأن العيون هم ذلك الصنف من المجاهدين الذين برز دورهم إلى جانب الصنوف الأخرى من المجاهدين في الجيش الإسلامي .

هذا الصنف من البشر يجعل جلّ اهتمامه تحقيق أمن البلاد في الداخل والخارج ، وذلك من خلال منع جواسيس العدو وعيونه من التسلل إلى دار الإسلام ، سواء للحصول على المعلومات أو التخريب ، أو بث الفرقة بين عناصر الأمة ، أو تجنيد عناصر بعينها من ذوي النفوس الضعيفة المريضة للعمل معه .

أما التجسس لغة : فهو البحث عن الأخبار وفحصها ، والتفتيش عن بواطن الأمور(٧) ، وقد أشكل على كثير من الناس كلمة ((تجسس)) فيفسرونها بمعنى واحد ، وهو مراقبة الناس والاطلاع على عوراتهم والعمل على إيذائهم ، وهذا ليس بمقصود هنا ، ولكن المقصود هنا تتبع

أخبار العدو الذي غالبا ما يكون بواسطة العيون ، وهو من الأمور المباحة في الإسلام ، عندما يكون المستهدف هو عدو المسلمين ، وذلك لأخذ الحيطة والحذر .

والجاسوس من التجسس ، وفي شرح صحيح مسلم (٨) أن العين هو الجاسوس . وقيل : الجاسوس يسمى عينًا ، لأن عمله بعينه ، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها ، فكأن جميع بدنه صار عينًا (٩). وقيل الجاسوس مشتق من جنسّ الخبر (١٠) ، وقيل هو الباحث عن أمور الناس ، فيقال : قد تجسّس الرجل وتحسّيس بمعنى واحد (١١) .

ومن حيث الاصطلاح : فالتجسس هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو ، بواسطة أفراد التجسس بقصد الاطلاع عليها ، والاستفادة منها ، في إعداد خطة المواجهة (١٢).

نلاحظ مما سبق أن العيون والتجسّس هدفهما واحد ومآلهما إلى معنى واحد ، وأن كلاً منهما يعني البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية ، ومعرفة الأمور والبحث عنها وطلبها ، وتحسّس من القوم تتبع أخبارهم ، وتحسس للقوم سعى في جمع الأخبار لهم (١٣) ، وقيل : إن تجسَّس وتحسَّس معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار(١٤)

وجاء في ((صبح الأعشى)) : اعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشّوك ، وربما كانوا لك وعليك ، فنصحوا لك وغشوا عدوك ، وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثيرًا ما يصدقونك ويصدقونه)) (١٥) .

كما يوجد عملاء فعّالون هم العملاء الأذكياء القادرون على بناء صداقات مع رجال العدو القريبين من الحكم ومن النبلاء ، وبهذا يستطيعون مراقبة ومعرفة وضع العدوّ الحقيقي(١٦) .

بعد بيان مفهوم العيون والجواسيس نلاحظ أن جميع هذه المصطلحات تستهدف جمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعقدية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها ، فهي نتيجة جمع وتقسيم وتحليل وإيضاح وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن أي نواحي دولة أجنبية أو لمناطق العمليات

مشروعيةاستخدام العيون والتجسس:

قال تعالى : { يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [يوسف : ٨٧] .

يوجه سيدنا يعقوب الأمر لأبْنَائه بأن اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه أو البلاد التي منها جئتم وخلفتم أخويكم بها ، فتحسسوا من يوسف وتعرفوا من خبره ، وأخيه يعني بنيامين (١٧) .

فوجه الاستدلال هنا أن سيدنا يعقوب عليه السلام قد طلب من أبنائه أن يتحسسوا ويبحثوا عن يوسف وأخيه ، وفي هذا إقرار من أحد الأنبياء في جميع المعلومات عن الآخرين ، ويعتبر جمع المعلومات من العناصر الأساسية في التجسس ، ويؤكد على مبدأ جمع المعلومات بعدم اليأس .

٣ – قال تعالى : { فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل : ٢٢] .

أخبر الله عزَّ وجلَّ عن غياب الهدهد الذي هو من جند سيدنا سليمان عليه السلام ، وأن الهدهد قد ذهب إلى منطقة سبأ باليمن وجاء بخبر جديد ، وبالنظر في هذا المعنى نجد مبدءًا من مبادئ الاستخبارات ، وهو جمع المعلومات ، حيث أن الظروف التي جمعت فيها المعلومات هي ظروف حرب بدليل قوله تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } [النمل : ١٧] .

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة وما تلتها من آيات على العديد من عناصر التجسس وهي :

إقرار مبدأ الحصول على المعلومات ، إذ أقر سليمان عليه السلام الهدهد ثم أرسله مرة أخرى {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } [النمل : ٢٧] .تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها . إمداد المسئولين وإطلاع القادة على المعلومات .

نلاحظ أن الهدهد كجندي من جنود سيدنا سليمان رأى أن من واجبه أن يأتي بما حصل عليه من معلومات إلى مسؤوله وهو سليمان عليه السلام { وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ } [النمل : ٢٢] . لذلك نرى اهتمام الهدهد بما حصل عليه من معلومات ، وإن كانت سببًا في تأخيره عن سليمان ، حتى صار هذا الخبر للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان درأ به عنه ما كان توعده به(١٨). والمباغتة والمفاجأة في جميع المعلومات وتوصيلها . والاستفادة من المعلومات القيمة في التخريب الفكري ، تخريب الباطل وإظهار الحق.

٥ – قال تعالى : { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } [القصص:١١ – ١٢] (١٩).

تشير الآية الكريمة إلى جمع المعلومات واستخدامها من قِبَلِ أم موسى التي تمثل جانب الإيمان مع فرعون الطاغية في المجتمع الفرعوني بمصر ، كما توضح الآية أهمية تلك الوسيلة التي اتبعتها أم موسى في تقصّي أخبار ابنها ، وتتبع آثاره بعد أن قذفته في اليم وأصبح فؤادها فارغًا ، ولقد

أثمرت هذه الطريقة في رد موسى إلى أمه ، وفي كل هذا إشارة إلى طريقة التقصّي والتتبع وجمع المعلومات والاستفادة منها لمصلحة مشروعة .

كما يستفاد من هذه الآية عدة معاني جليلة منها :

استخدام أم موسى مبدأ جمع المعلومات والحصول عليها في حفاظها على ابنها ((وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} [القصص : ١٢] (٢٠)، فأم موسى لم تختر غير أخته ، لأن الأخت تعتبر من الحريصين والأمناء على تلك المصلحة ، وهي تندفع في العنصر المرسل في عملية الاستخبارات أن يكون مندفعًا من ذاته حريصًا على المصلحة المرسل إليها .

التقصّي والتتبع بدون إثارة أو جلب أنظار ((قُصّيه)) (٢١) ، إذ نفهم من كلمة التقصّي الانتباه وعدم إثارة الأنظار ، ودليل ذلك أنها بصرت به دون أن يشعروا بها .

دقة الملاحظة وقوة الفراسة أثناء جمع المعلومات { فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون }

محاولة تحقيق الهدف أثناء جمع المعلومات ، فأخت موسى لم تكتف بأن تعرف مكان موسى لتخبر أمها بمكانه ، وإنما تقصت الأخبار ، وتوصلت إلى مكانه وحولت إعادته إلى أمه ، وقد نجحت في هذا .

من خلال الأدلة القرآنية السابقة نجد أن القرآن الكريم قد أجاز العمل بهذا الأمر وفيه ، لما ينطوي عليه هذا العمل من أهداف سامية تخدم الدولة وأفرادها وتحميها من العدو وتدبيراته ومكافحة للجاسوسية والقيام بأعمال إيجابية ضد العدو .

استخدام العيون والتجسس فى إقامة الدولة الإباضية:

لم يكن قيام الدولة الرستمية الإباضية(٢٢) بجبل نفوسة(٢٣) وتاهرت مجرد صدفة عابرة، بل كان خاضعاً لتخطيط سري منظم قائم على تقصي أخبار المكان عن طريق إذكاء عيونهم لتحسس مواضع توطئة لنشر المذهب الإباضي هناك(٢٤) جرياً على عادتهم من الحذر والاحتراس حتى يتسنى لهم معرفة المكان كما يعرفه أهله(٢٥) بعيداً عن عيون الخلافة الأموية والعباسية(٢٦)، لذا فكان من البديهي أن يمضي هذا التنظيم في طي التستر والكتمان حيث كانت مجالس الأباضية تعقد في سراديب تحت الأرض في بيوت النسوة العجائز منعاً للشبهة، غالباً ما كان روادها يتنكرون في ملابس النسوة أثناء عقد اجتماعاتهم في الوقت الذي يبثون فيه عيونهم حول المكان، تحسباً لما قد يثير من حولهم المخاوف أو الشكوك(٢٧).

١- هذا ولما كان ضغط الأمويين يلاحق دعاة الإباضية في كل مكان، فكروا في الفرار عنهم(٢٨)، من المشرق إلى أطراف الدولة الإسلامية، خاصة بلاد المغرب، فاختار أبو عبيدة مسلم

بن أبي كريمة [٢٩]سلمة بن سعد أنجب تلاميذه والمعروف بحماسه الشديد للإباضية ووجهه إلى المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، بعدما أيقن صعوبة الدعوة بالمشرق، حيث أصبح عيناً له يخبره بأحوالها بعدما أخذ يتقصى أمور هذه البلاد البكر ويتحسس مواضعها وأخبارها، تمهيداً لإقامة أول إمامة إباضية هناك، إلى أن هداه تفكيره إلى منطقة جبل نفوسة[٣٠]، فقد رأى أن من خصائص الأماكن ذات التضاريس الوعرة أن تصبح ملاذاً وملجأً لأصحاب المذاهب الرافضة لحكم السلاطين، فضلاً عن بعد جبل نفوسة عن السلطة المركزية للأمويين في المشرق، ثم العباسيين بعد ذلك[٣١]، ومن هنا أصبح جبل نفوسة منطقة استقرار للدعوة الإباضية ومركزاً سياسياً في ميدان الصراع بين البربر وجند الخلافة[٣٢]، نظراً لذكاء الداعية 'سلمة بن سعد' وحنكته السياسية والجغرافية في تأسيس هذا الموضع[٣٣]، ثم امتدت دعوتهم لتصل إلى تاهرت بالمغرب الأوسط، حيث قامت فيها الدولة الرستمية[٣٤]، مع تبعيتهم لمركز الدعوة الإباضية في البصرة، فإليها أرسل الدعاة الذين عرفوا بحملة العلم[٣٥] الذين اختارهم سلمة بن سعد من معتنقي إباضية جبل نفوسة وإفريقية[٣٦]، حيث كان قد اكتسب أنصاراً كثرين عن طريق تشويقهم للمذهب مما كان له أكبر الأثر في انتشاره بالمغرب[٣٧]، في حين كان التنظيم الأم يبث عيونه لمراقبة نشاط الدعاة ومعرفة مدى إخلاصهم والتزامهم بتنفيذ الأوامر، مما جعلهم يجدون في ذلك[٣٨].

المبحث الأول

الإمامة الإباضية الأولى في جبل نفوسة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م

فتأسست أول إمامة إباضية في جبل نفوسة عام (١٤٠ - ١٤٤ هـ / ٧٥٧ – ٧٦١ م) على يدي 'أبي الخطاب بن عبد الأعلى المعافري' أحد حملة العلم إلى المغرب[٣٩] الذي تولى أول إمامة ظهور للإباضية في جبل نفوسة، ثم توسع إلى المناطق المجاورة مستخدماً عيونه بدءاً بالقيروان التي وافته عيونه بأن يعد العدة للزحف عليها عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م، للقضاء على ثورة قامت بها ورفجومة البترية[٤٠]، فقد جاءت أخبار العيون بأن ورفجومة قد ربطوا دوابهم في المسجد وقتلوا كل من كان بالمدينة من قريش وساموا اهلها أشد أنواع العذاب[٤١]، مما جعل 'أبو الخطاب المعافري' يقرر الاستيلاء على القيروان لتخليصهم من أفعال الورفجوميين، وعقابهم على ما اقترفوه من فساد بحق أهلها، إلا أن بعض المصادر التاريخية تعزي السبب المباشر في ذلك إلى أن عيون 'أبي الخطاب' من التجار رأوا رجالاً من ورفجومة يأخذون امرأة غصباً ودخلوا بها الجامع على مرأى من الناس دون أن يحركوا ساكناً، فما كان من التاجر الإباضي إلا أن توجه إلى 'أبي

الخطاب' وأخبره بالخبر، فثارت حميته وخرج إليهم قائلاً "لبيك اللهم لبيك"(٤٢)، في حين تعزي المصادر الإباضية السبب في ذلك إلى أن امرأة من نساء القيروان كتبت إلى أبي الخطاب تشكو فيه جور ورفجومة قالت فيه "أما بعد يا أمير المؤمنين فإن لي ابنة قد بلغت في الخوف عليها خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها، فانظر إلينا والسلام"(٤٣).

من خلال ما تم عرضه فإن السبب واحد في محاربة 'أبي الخطاب' لورفجومة، وهو جورها وظلمها لأهل القيروان، أما عن اختلاف المصادر التاريخية في منبع الخبر ،بل أنه يبين كثرة عيون 'أبو الخطاب' في القيروان سواء من اهلها أو ممن أرسلهم إليها، فبفضل هذه الأخبار خرج 'أبو الخطاب' لنجدة أهل القيروان من ظلم ورفجومة(٤٤) في ستة آلاف من خيرة رجاله عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م فدخلها واستولى عليها(٤٥)، وباتساع نفوذ الإباضية في المغرب الأدنى(٤٦) أثارت مخاوف الخلافة العباسية في المشرق، وقرر الخليفة العباسي 'أبو جعفر المنصور' (١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٤ – ٧٧٤ م) العمل على استرداد القيروان ووقف هذا المد الإباضي مجنداً أحد عيونه من جند 'أبو الخطاب' يدعى 'جميل السدراتي'(٤٧) الذي كان على علم ببعض نوايا 'أبو الخطاب' تجاه العباسيين فضلاً عن الإدلاء ببعض مخططاته(٤٨).

أرسل 'أبو جعفر المنصور' قائده 'محمد بن الأشعث الخزاعي' (١٤٤ – ١٤٨ هـ / ٧٦١ – ٧٦٥ م) والياً على إفريقية وأمره أن يولى أمر القضاء على 'أبي الخطاب'(٤٩) فأخذ 'ابن الأشعث' يبث عيونه (جواسيسه) ليتحسسوا أخبار 'أبي الخطاب' وأحوال جيشه في حين مارس 'أبو الخطاب' هذه السياسة في إذكاء عيونه (جواسيسه) على 'ابن الأشعث' فصارت العيون تختلف إلى الفريقين وتوافيهم بكل ما حدث(٥٠).

وما أن وافت عيون 'أبي الخطاب' خبر مسير 'ابن الأشعث' نحوه إلا وتوجه إلى سرت(٥١) فعسكر بها عام ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م(٥٢)، فأصيب 'ابن الأشعث' بالهلع عندما أخبره بكثرة جموعه(٥٣)، كما أخبروه بنزاع دب بين قبيلتين من أهم صفوفه هي زناتة البترية مع هوارة البرانسية بشأن قتيل من زناتة، فاتهمت زناتة 'أبا الخطاب' بالميل إلى هوارة فتخلى عنه جماعة منهم(٥٤)، فسر بذلك 'ابن الأشعث' وازداد حماسة لمواجهة 'أبي الخطاب' مستغلاً هذه الفرصة(٥٥)، إلا أنه تراجع قليلاً عن ذلك خاصة عندما وافته عيونه بأخبار عن 'أبي الخطاب' ارتاح لها، فقد ذكروا أنه على حد قولهم "رأينا رهباناً بالليل، وأسداً بالنهار، يتمنون لقاءك كما يتمنى المريض الطبيب، لو زني صاحبهم لرجموه، ولو سرق لقطعوه، خيلهم من نتاجهم، ليس لهم بيت مال يرزقون منه، وإنما معاشهم عن كسب أيديهم"(٥٦)، وما أن سمع 'ابن الأشعث' ذلك إلا وخاف من تشتت

جمعه، فعمد إلى رجال من عسكره غير معروفين للجيش، وأمرهم أن يتزيوا بزي الرسل كأنهم قدموا من أرض المشرق، وأعطاهم كتاباً كتبه على لسان 'أبو جعفر المنصور' وأمرهم أن يتنحوا عن العسكر، فإذا كان وقت الضحى من الغد أقبلوا كأنهم قادمين من بغداد بكتاب خليفتهم لـ 'ابن الأشعث'[٥٧] فلما حان الوقت الذي أمرهم فيه بالظهور توافد عليه الجند وأعطوا له كتاباً فقرأه 'ابن الأشعث' وأمر الناس بالرجوع إذعاناً لأمر الخليفة[٥٨]، وأبدى لهم تخوفه من 'ابن الخطاب' لكثرة جيوشه وقوة جنده[٥٩]، ولكن 'ابن الأشعث' وجد معارضة من أكبر قواده ويدعى 'المحارب بن هلال' الذي أبى الرجوع حيث رأى أن ذلك لا يليق بكبرياء الجيوش العباسية، وأنه على استطاعة مواجهة 'ابن الخطاب' ولما أدرك 'ابن الأشعث' أن 'المحارب' سيفسد حيلته قتله تأكيداً لأصحابه على امتثالهم لأمر الخليفة بعودتهم إلى المشرق[٦٠]، ورجع 'ابن الأشعث' متباطئاً في سيره، فإذا ارتحل أول النهار نزل عند انتصافه، وإذا كان غداً ارتحل وعيون 'ابن الخطاب' تراقبه فكلما ارتحل مرحلة رجعت منهم طائفة، وكلما ارتحل 'ابن الأشعث' مرحلة أمر خيلاً تقطع الأثر خلفه لتتأكد هل بقي في عسكره من عيون 'أبي الخطاب' أم لا، وذلك في الوقت الذي كانت فيه عيون 'ابن الأشعث' مقيمة في عسكر 'أبي الخطاب' ونجح ابن الأشعث في خطته، فسرعان ما وصلت عيون 'أبو الخطاب' لتبلغه بعودة خصمه، وكان قد اجتمع حول 'أبي الخطاب' ما يقرب من تسعين ألفاً[٦١]، أراد معظمهم الرجوع إلى مساكنهم لحلول وقت الحصاد الذي ينتظرونه في جمع زروعهم، في حين قد أحس 'ابن الخطاب' بحيلة 'ابن الأشعث' وأوضح ذلك لأصحابه ونصحهم بعدم التفرق لأن العرب أصحاب مكر وخديعة، إلا أنه من شدة إلحاحهم سمح لهم بالرحيل فتفرقوا إلى ديارهم[٦٢]، وما أن نمى إلى علم 'ابن الأشعث' عن طريق عيونه بتفرق جند 'أبو الخطاب' إلا وقد طوى المراحل التي كان قد سارها ليلاً ونهاراً حتى فوجئ 'ابن الخطاب' بجند 'ابن الأشعث' داخل حيز طرابلس عند سرت[٦٣].

ويبدو أن الأمر كان مبيتاً من 'ابن الأشعث' بالاستيلاء على سرت، فقد روج أحد عيون 'ابن الأشعث' الذي اندس في صفوف 'عمرو بن يمكن' عدم لجوء 'ابن الأشعث' إلى عنصر المباغتة مبيناً له شجاعته وقوته بقوله "لا يأتيكم ابن الأشعث بغفلة وهو في جند أمير المؤمنين برجال مشمرين، وخيل مضمرات، وسيوف مهندات، بل يأتيكم جهاراً نهاراً"[٦٤] ومن النص السابق يتضح نجاح عيون 'ابن الأشعث' في أن تنطلي حيلهم على أصحاب 'أبي الخطاب' وبالأخص عمرو بن يمكن' عامل سرت الذي غدت ولايته أحد المخططات الرئيسية في تقويض أحد أركان دولة 'أبي الخطاب' والاستيلاء عليها نظراً لأهميتها.

أسرع 'أبو الخطاب' في إرسال رسله إلى البلدان لتستمد عسكره الذين قد تفرقوا، إلا أن الحمية قد جعلته لا ينتظر أتباعه رغم إشارة بعض أصحابه بانتظارهم حتى يقووا على محاربة 'ابن الأشعث' فقال "لا يسعني المقام وقد دخل العدو وحريمي ورعيتي حتى أدفع عنها، فأغشيها أو ألحق بالله" فخرج بمن حضر معه من أصحابه[٦٥] لقتال 'ابن الأشعث'[٦٦] والتقى الجيشان عام ١٤٤ هـ / ٧٦١ م في موضع يسمى ''ورداسة'' بتاورغة[٦٧] استطاع فيها 'ابن الأشعث' أن يحتل إستراتيجية المكان بنزوله على مكان الماء، والسيطرة عليه قبل 'ابو الخطاب'[٦٨] ولا شك أنه قد درس المكان متبعاً قادة المسلمين الأوائل نحو ذلك جرياً على عادتهم من الحذر والاحتراس أثناء السير، فكانوا لا ينزلون منزلاً إلا بعد إذكاء العيون ومعرفة المكان كما يعرفه أهله[٦٩] واشتبك الطرفان في قتال شديد استشهد فيه 'أبو الخطاب' وأصحابه[٧٠]، ولم ينج منهم إلا النذر اليسير، وعندما وصل إلى مسامع أصحابه نبأ مقتله، فروا إلى الجبال معتصمين بالحصون المنيعة والقلاع العالية[٧١].

المبحث الثانى

إمامة أبي حاتم الملزوزي[٧٢] ١٥٤ هـ / ٧٧٠ – ٧٧١ م:

لم يأل عيون العباسيين جهداً في مراقبة أحوال الإباضية إبان مقتل قائدهم وإمامهم الأول أبو الخطاب المعافري وإرسال رأسه إلى الخليفة المنصور[٧٣]، لذا بايع الإباضية أبو حاتم الملزوزي ١٥٤ هـ / ٧٧٠ – ٧٧١ م سراً[٧٤] لكي لا يفطن الجنيد بن سيار الأسدي (١٥١ – ١٥٤ هـ / ٧٦٨ – ٧٧٠ م / ٧٧١ م) والى أبو جعفر المنصور على طرابلس مقصدهم بعد أن أشاعوا الخبر عن طريق عيونهم، بأنهم اجتمعوا من أجل مناقشة مشكلة نشبت بين امرأة صالحة تدعى 'مسلمة' وبين زوجها[٧٥]، إلا أن الجنيد لم يطمأن إلى ذلك وأرسل عيونه لتحسس الخبر فلم يردوا له جديداً في هذا الأمر عن المرأة وزوجها، لذا توجه الجنيد بنفسه لتحسس الخبر فكشف أمرهم حول تنصيب أبا حاتم الملزوزي إماماً عليهم، فأرسل إليهم خمسمائة فارس بقيادة حازم بن سليمان ليردهم إلى طاعة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور[٧٦]،فالتقوا واقتتلوا فانهزم حازم وأصحابه ولحقوا بالجنيد بطرابلس، واستنجد الجنيد بأميره عمر بن حفص (١٥١ – ١٥٤ هـ / ٧٦٨ – ٧٧٠ م / ٧٧١ م)[٧٧] الذي حوصر بالقيروان نتيجة اتحاد الإباضية والصفرية[٧٨] لأول مرة ضده[٧٩]، حتى نفذ زاده وتفاقم الخلاف بين رجاله واختلفت آرائهم حول معالجة الموقف[٨٠] الموقف الذي أضحى مضطرباً فقد ساءت أخلاق عمر بن حفص كما ساءت أخلاق العسكر الذي أخذ يشك في نواياه[٨١]، وفي حين ذلك برز دور زوجة عمر بن حفص وهي خليدة بنت المعارك كعين

له تخبره عن طريق رسائلها بأحوال البلاط العباسي، حيث أوضحت له ذلك بقولها "إن أمير المؤمنين قد استبطأك فبعث يزيد بن حاتم[٨٢] إلى إفريقية وهو قادم في ستين ألفاً، ولا خير في الحياة بعد هذا"[٨٣]، ولا شك أن في هذا النص إشارة واضحة إلى خيبة ظن الخليفة المنصور في نجاح عمر بن حفص الملقب بهزارمرد أي الألف رجل[٨٤]، في الانتصار على الإباضية وفك الحصار وانتشار الخبر بين العوام والخواص في المشرق ما جعل زوجته تثير حنقه بأن ترسل إليه ليموت بشرفه ومكانته بدلاً من هزيمته ودنو شأنه بعد أن كان عالياً خفاقاً لدى العباسيين، وبعد وصول هذه الرسالة عز على ابن حفص أن يقال يزيد أخرجه من الحصار فقال "لا خير في الحياة بعد أن يقال يزيد أخرجه من الحصار، إنما هي رقدة ثم أبعث إلى الحساب"[٨٥]، وخرج عمر يضرب ويطعن حتى قتل سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ – ٧٧١ م على يد قوات أبي حاتم الملزوزي واستولى على القيروان[٨٦]، فولى أبو جعفر المنصور مكانه على إفريقية يزيد بن حاتم في نفس سنة وفاة عمر بن حفص[٨٧]، معتمداً على إذكاء العيون (الجواسيس) بتجنيدهم من أهالي البلاد المفتوحة كنفوسة، حيث استعان ببعض رجالها من الناقمين على أبي حاتم الملزوزي منهم عمر بن مطكود النفوسي عيناً له عليه[٨٨]، الذي نصحه بأن يستند إلى غرب جبل جندوبة المنيع – أحد الجبال الغربية لجبل نفوسة – ليقي به ظهره خوفاً من مهاجمة نفوسة الإباضية له من ورائه إذا وقعت المعركة، وبالفعل أخذ يزيد بن حاتم بنصيحة عمر بن مطكود لأنه أحد رجال نفوسة والأعلم بطبائعهم ونواياهم[٨٩]، ولا شك أنه قد نصح يزيد بن حاتم بذلك إبان معرفته بخطة أبو حاتم الملزوزي، الذي قد اتخذ من جبل نفوسة المركز الرئيسي في حربه مع يزيد خاصة لأنه الشعاع الأول لنشر الدعوة الإباضية في بواكيرها[٩٠].

على أي حال كان لنصائح عمر بن مطكود النفوسي الدور الكبير في تسهيل مهمة يزيد بن حاتم في اجتياز الخندق وإفساد خطته لأبي حاتم الذي كان قد حفزه ليحول بينه وبين قوات يزيد والتحمت جيوشه بالإباضية[٩١]، وجرت بين الفريقين معركة قاسية في جبل نفوسة عام ١٥٥ هـ / ٧٧١ – ٧٧٢ م قتل فيها خلق كثير من الجانبين إلا أن النصر كان حليفاً ليزيد بن حاتم[٩٢]، وبذلك انتقلت قيادة الحركة الثورية من إباضية جبل نفوسة إلى إباضية تاهرت[٩٣] الذين أصبحوا معنيين بتبعية ولاة جبل نفوسة إليهم[٩٤]، إبان تأسيس دولة إباضية بتاهرت عام ١٦١ هـ / ٧٧٧ م على يد عبد الرحمن بن رستم (١٦١ – ١٧١ هـ / ٧٧٦ – ٧٨٧ م) بمؤازرة إباضية المغرب الأوسط، تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم إباضية المغرب جميعاً بعد أن دانوا بالولاء

والتبعية وأقامت دليلاً عملياً على نجاح ثورات الإباضية في تحقيق مراميها بتكوين دولة إباضية بالمغرب[٩٥].

المبحث الثالث

إمامة عبد الوهاب بن رستم(١٧١ – ٢١١ هـ / ٧٨٧ – ٨٢٦ م)

ظل الأئمة الرستميين يتناوبون على حكم دولتهم قرابة قرن وربع القرن من الزمان[٩٦]، كان أولهم بعد عبد الرحمن بن رستم، ابنه عبد الوهاب (١٧١ – ٢١١ هـ / ٧٨٧ – ٨٢٦ م)[٩٧] الذي اتبع سياسة استخدام العيون (الجواسيس) نظراً لاتساع دولته التي أصبحت مترامية الأطراف، بل أن الإمام عبد الوهاب كان يتحسس أوضاع دولته بنفسه[٩٨]، وذلك في حربه مع النكار[٩٩] بزعامة رئيسهم يزيد بن فندين الذي كان ضمن السبعة[١٠٠] المرشحين للإمامة عقب وفاة عبد الرحمن بن رستم، فتذمر على الإمام عبد الوهاب لاستئثاره بالسلطة بعد أبيه وعدم مشورته[١٠١]، وفي محاولة قضاء النكار على الإمام عبد الوهاب عن طريق دس أحد عيونهم في صندوق (تابوت) وضعوا فيه رجلاً معه سيفه وحملوه إلى دار الإمام حيث وضعوه عنده إلى أن يحكم بينهم، وكان هدفهم مراقبة الرجل للإمام حتى يأتي الوقت المناسب ليلاً ويقتله، ولكن المؤامرة فشلت بعد أن أخبره رجاله حملة التابوت بأن هناك أمراً مدبر للإمام في هذا التابوت نظراً لثقله، فضلاً عن أنه مغلق من داخله، فأصبح الإمام عيناً لنفسه على التابوت إذ وضع زقاً منفوخاً في فراشه وأخذ يترقب صاحبه طوال ليلته إلى أن خرج من تابوته وضرب الزق فقده الإمام بسيفه نصفين وأرداه قتيلاً ثم وضعه في تابوته[١٠٢]، وهكذا فشلت محاولة النكار في قتل الإمام بعدما انتظروا طويلاً آذان صاحب التابوت، وكانت العلامة المتفق عليها فيما بينهم لإتمام قتل الإمام، فأتوا صباحاً واخذوا تابوتهم فوجدوا صاحبهم قتيلاً، فخرجوا من المدينة خوفاً من سوء صنيعهم[١٠٣]، تاركين عيوناً لهم يخبرونهم بأخبار الإمام وأحواله، تحيناً لفرصة مناسبة للإنقضاض على تاهرت، هذا وقد لاحت الفرصة عندما خرج الإمام من تاهرت لقضاء بعض حاجياته إلا وأخبرهم عيونهم بخروجه فدخلوا المدينة على حين غرة وعم الهياج بكل مكان[١٠٤]، إلى أن استطاع ولي العهد أفلح بن عبد الوهاب (٢١١ – ٢٤٠ هـ / ٨٢٦ – ٨٥٤ م) احتواء الموقف وإنقاذ المدينة من أيدي النكار بقتل زعيمهم يزيد بن فندين[١٠٥]، هذا وقد نتج عن فتنة النكار الأثر الكبير في شق

الواصلية[١٠٦] عصا الطاعة[١٠٧]، والذين تأسوا بالنكار في ذلك وأخذوا في مراسلة أميرهم في طنجة اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ظناً منهم أنه الوقت المناسب ليكون لهم سلطة خاصة بهم في تاهرت نظراً لوقوع الفرقة بين الإباضية في اختيار إمامهم الجديد[١٠٨].

وهكذا يتضح دور الواصلية قاطني تاهرت كعيون على الإمامة الإباضية لأميرهم في طنجة يخبرونه بأخبارها، فكان أثر الخبر في نفوسهم أن تكاتفت كلمتهم بين الإباضية والواصلية واجتمعوا من كل حدب وصوب بالقرب من تاهرت إلى أن غطت جيوشهم جبال المدينة ثم دارت الحرب بين الإباضية والواصلية، فكان الإمام ينتصر تارة وينهزم أخرى[١٠٩]، مما جعل الإمام عبد الوهاب يستنجد بإباضية جبل نفوسه لما فيهم من أهل النجدة والشجاعة وأبطال الحرب[١١٠]، وفي ذلك قصة طريفة تبين مدى اعتماد الإمام على عيونه (جواسيسه) حتى لمعرفة الأخبار السارة فضلاً عن بيان ذكاءهم وهي أهم صفاتهم، وما أن نمى إلى علم الإمام عبد الوهاب بأن مدد إباضية جبل نفوسة في طريقه إليه إلا وفرح بذلك ووعد عبيده بأن أول من يأتيه بخبر وصولهم سينال حريته بعتق من الرق[١١١]، لذا أخذوا يترقبون وصول الوفد النفوسي، ففي كل صباح كانوا يخرجون من سور المدينة يتحسسونهم يميناً ويساراً حتى يحظى أحدهم بمكافأة الإمام، ولما كان أحد هؤلاء العبيد أعرج لا يقوى على مجاراة أصحابه في السير فقد ألهمه ذكاؤه أن يصعد إلى مكان عال بسور المدينة حتى يبصرهم من بعيد، فيكون أول عين تنقل الخبر للإمام[١١٢]، وبالفعل عندما كان يوم وصولهم أبصرهم العبيد من خارج سور المدينة وأسرع كل منهم في سباق ليخبروا الإمام بمجيئهم، فعندما رآهم الأعرج عن بعد عجل إلى الإمام وبشره فأعتقه الإمام وما أن جاءوا أصحابه ليخبروه إلا ووجد الأعرج قد سبقهم بالبشارة فقالوا "فاز بها الأعرج"[١١٣]، وعلى الرغم من طبيعة هذه الرواية القصصية إلا أنها توضح أثر الخبر وأهميته في نفوس ذوي النفوذ والسلطان مبيناً دور العين كصاحب خبر لمن طلبه فضلاً عن المكافأة التي يحظى بها فبوصول الوفد النفوسي حقق الإمام نصراً عظيماً على الواصلية وقضى عليهم وانتهى من خصومه المذهبيين في أحواز تاهرت[١١٤]، كذلك برز دور العيون (الجواسيس) الأغالبة المخالفين للإباضية في المذهب في صفوف الإمام عبد الوهاب نفسه[١١٥]، عندما استغاثت به قبيلة هوارة ضد الأغالبة إصر تعديهم على أرض هوارة الموافقة له في المذهب[١١٦]، وكان ذلك قد صادف وجود الإمام عبد الوهاب في جبل نفوسة الأمر الذي جعله يسرع بتجهيز جيش منهم اتجه به إلى مدينة طرابلس وحاصرها حصاراً شديداً عام ١٩٦ هـ / ٨١٧ م[١١٧] ولم ينجح في اقتحامها نظراً لمناعة أسوارها فضلاً عن وجود عيون أعداءه في صفوفه ينقلون أخباره أول بأول إلى الأغالبة، وهو ما أغضب الإمام وجعله

يشك في نوايا كل من حوله، بل بلغ حرصه وحذره من انتشار أخبار خططه أنه لم يبح بأسراره إلا لوزيره مزور بن عمران، مما جعله يظن أنه يحاصر طرابلس برجل واحد[١١٨]، وهو ما جعل الإمام عبد الوهاب يوافق على عقد الهدنة[١١٩] مع الأغالبة عندما اضطر الأمير عبد الله بن إبراهيم الأغلب لذلك إبان وفاة والده[١٢٠].

المبحث الرابع

إذكاء العيون والجواسيس فى الصراع على ولاية جبل نفوسة

وقيام بعض الفتن المذهبية السياسية

غادر الإمام عبد الوهاب جبل نفوسة بعد أن مكث فيه سبع سنوات يعلمهم ويقضيهم في أمور دينهم، فعم الجبل الهدوء والاستقرار[١٢١]، إلى أن عكر صفوه خروج خلف بن السمح ابن أبي الخطاب المعافري على الإمام لعدم إقراره ولايته على جبل نفوسة إبان وفاة والده السمح بن أبي الخطاب ١٩٦ هـ / ٨١١ م[١٢٢]، بعد أن بادر عامة نفوسة بتنصيبه والياً عليهم وفاءاً لوالده ظناً منهم أن ذلك سيرضي الإمام[١٢٣]، في حين أرسل الإمام عبد الوهاب كتاباً بولاية أيوب بن العباس (١٩٦ – ٢٠٠ هـ / ٨١١ – ٨١٥ م) فالتزم خلف الهدوء والسكينة لمعرفته ببأس أيوب وشدته[١٢٤]، ولكن ما أن حالف الحظ خلفاً بوفاة أيوب بن العباس وولاية أبى عبيدة عبد الحميد الجناوي (٢٠٠ – ٢٢٢ هـ / ٨١٥ – ٨٣٦ م)[١٢٥] إلا وثارت ثائرته باستحواذه على معظم أنحاء الجبل في الفترة بين وفاة أيوب ووصول كتاب الولاية إلى أبي عبيدة الجناوي، مما جعل الإمام عبد الوهاب يلجأ إلى أسلوب إذكاء العيون (الجواسيس)[١٢٦] للإيقاع بين خلف وأتباعه[١٢٧] مستنداً في ذلك إلى ما ذكره النفوسي من أن شخصاً يدعى عمرو بن يائس كان يندس بين أصحاب خلف[١٢٨] ويكاتب الإمام بكل ما يسمعه[١٢٩]، كما أرسل الإمام إلى المبرزين من أنصار خلف يستميلهم بالأموال والضياع دون فائدة[١٣٠].

هذا ولم يدخر خلف هو الآخر جهداً في استخدام عيونه (جواسيسه) الذين دسهم في صفوف أبي عبيدة الجناوي ليخبروه بما يجري في حوزته[١٣١]، مما جعل أبو عبيدة يرسل إلى الإمام يستأذنه في محاربته، إلا أنه أبى عليه ذلك وحثه على أن يعامله باللطف واللين راجياً عودته إلى رشده[١٣٢]، وهي نفس السياسة التي اتبعها أفلح بعد وفاة والده عبد الوهاب[١٣٣]، فانتهز خلف ذلك وأخذ يضيق الخناق على أبي عبيدة بشن الغارات وقتل الرجال[١٣٤]، الأمر الذي أثار حنق أبى عبيدة عليه فاضطره إلى مشاطرته القتال[١٣٥]، مستعيناً بعيونه التي قد تقوم مقام تجنيد الجنود وسفك

دماء الأبطال[١٣٦]، ويبدو أن أحد عيون أبي عبيدة الذين جندهم في صفوف خلف قد فطن إلى خطة خلف، فحث أبو عبيدة على التراجع هو وأصحابه إلى سفح الجبل[١٣٧] ويجعلوه خلف ظهورهم ليحميهم من الأعداء، فإن كانت الدائرة عليهم لا يضرهم ذلك شيئاً، وإن كانت لهم أدركوا ما رجوا وأمنوا ما خافوا[١٣٨]، فكانت الغلبة لأبي عبيدة وأصحابه في موقعة أجناون – إحدى مدن جبل نفوسة – عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م[١٣٩]، حين تشتت جموع خلف في كل مكان[١٤٠]، كما ركن الإمام أفلح إلى سياسة إضعاف التحالف بين القبائل عن طريق الوشاية بينها مستخدماً نوعا من الأعوان من العيون والجواسيس، كانت وظيفة هؤلاء الأعوان إلقاء الأحقاد وإثارة الفتن بين القبائل القاطنة[١٤١] حول تاهرت فكفته مؤونة القتال التي قد توردهم حياض الموت[١٤٢].

لم يسلم الإمام أفلح من قيام بعض الفتن المذهبية السياسية في دولته، المعروفة بفتنة نفاث أو النفاثية[١٤٣]، التي جعلت ولاة أفلح يبثون عيونهم (جواسيسهم) في كل مكان ليطلعوا الإمام على أحوال نفاث وأفعاله[١٤٤]، كما يذكر الدرجيني "إذا مشى ويلبس الطرطور ويخرج إلى الصيد أنه أضاع أمور المسلمين ويزيد في الخلقة، ويصلي بالأشبر[١٤٥]"[١٤٦]، وكان يعني من ذلك أنه كبير العمامة والوجه، طويل اللحية[١٤٧]، ومما لا شك فيه أنه نظراً لتعاظم فتنة نفاث أرسل الإمام أفلح والي قنطرارة[١٤٨] سعد بن يونس بنفسه ليكون عيناً له على نفاث حيث اشترى داراً بجواره ليتحسس منها أخباره تحسباً لإرسالها إلى تاهرت، فضلاً عن تشديد مراقبته عليه[١٤٩]، إلا أن نفاث سرعان ما كن إلى الهدوء إصر رسالة قد أرسلها الإمام أفلح إليه محذراً له فيها من بدعة[١٥٠]، ومهدداً إياه بالعودة إلى صوابه[١٥١].

وبفضل سياسة أفلح سكنت أحوال البلاد حتى نهاية عهده ولم ينغص عليه عيشه إلا افتقاده لابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبو اليقظان محمد (٢٦٠ – ٢٨١ هـ / ٨٩٣ – ٨٩٤ م) الذي سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج فضلاً عن نهله من منابع المذهب الإباضي على أيدي شيوخه هناك، فكشفه عيون بنو العباس الذين علموا بمجيئه ظناً منهم أنه جاء لبث الدعاة في المشرق ممن كان على رأيهم ومذهبهم ليصبح الأمر في حوزته[١٥٢]، فحملوه إلى بغداد حيث الخليفة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ – ٨٤٧ م)، فأمر بحبسه مع أخيه المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ – ٨٦١ م) المغضوب عليه إلى أن تولد بينهم الصداقة وهو ما جعل المتوكل يأذن له بالعودة إلى تاهرت عقب توليه الخلافة بعد الواثق[١٥٣]، وفي طريقه حسب منجمو الخليفة العباسي حسابهم فرأوا أنه سوف يتولى الملك بالمغرب، مما أوغر صدر الخليفة ورجاله عليه وقالوا "قد

أطلعناه على أمرنا وكشفنا له أمور بلادنا وتركناه، وذلك هو عين ما كنا نخافه، ولا نأمن من أن يهاجمنا يوماً ما إذا تقلد الملك"، فأرسلوا إليه ليردوه، فعلم أبو اليقظان بذلك لأنه كان عالماً من علماء التنجيم(١٥٤) فعمل الحيلة لذلك ففي أثناء حسابهم له رأى أنهم يبحثون عن موضعه ليقتفوا أثره، فأحضر قصعة كبيرة مملوءة بالماء، ودخل في وسطها، وبينما هم في تحرير حسابهم إذ ظهر أنه في الماء، فقالوا "قد دخل البحر" ونجا واستطاع بتلك الحيلة الوصول إلى تاهرت(١٥٥)، وعلى الرغم من ظهور الطابع القصصي حول بزوغ نجم أبي يقظان وبراعة منجمو الخليفة العباسي المتوكل في علم التنجيم، إلا أنه يتضح أن أبي يقظان أصبح عيناً لبني رستم في تاهرت على العباسيين في المشرق طوال فترة حبسه، إطلع على أمرهم وكشف أمور بلادهم فاستطاع أن يعرف مواطن ضعفهم ومراكز قوتهم، لذا خافوا أن يهاجمهم عند توليته لمعرفة خبايا أمورهم، خاصة بعدما دعم اواصر الصداقة بينه وبين الخليفة العباسي المتوكل كما ذكر باحث محدث(١٥٦)، ويعتقد الباحث أن المتوكل قد باح له بكل أسراره نتيجة ذلك أثناء الفترة التي مكثها معه في السجن عندما ضاق ذرعاً بأخيه الواثق، فوجد في أبي يقظان متنفساً له في حبسه، ومن هنا بدأت أنظار الأغالبة تصوب نحو تاهرت بإيعاز من العباسيين وهو أحد الأسباب التي نتج عنها موقعة مانوا(١٥٧) ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م، التي كانت بداية النهاية لإباضية المغرب بضرب الدولة الرستمية في عصب قوتها ودعامتها الأساسية ممثلة في إباضية جبل نفوسة(١٥٨).

المبحث الخامس

إذكاء العيون والجواسيس بين أنصار ابن عرفة وأبى بكر بن أفلح ونهاية الدولة الإباضية

على أي حال ما أن عاد أبو اليقظان إلى تاهرت إلا ووجد أخاه أبا بكر قد تقلد الإمامة سنة (٢٥٨ – ٢٦٠ هـ / ٨٧١ – ٨٧٣ م)(١٥٩) فأصبح أبو اليقظان أحد نائبيه بجوار ابن عرفة، ويبدو أن الأحوال تبدلت بعودة أبو اليقظان الذي أصبح عيناً لأخيه أبى بكر يخبره بأخبار رعيته وأحوال بلاده فضلاً عما أورده له بخصوص رفعة مكانة نائبه ابن عرفة بين الناس التي كادت تطمس هيبتهم للإمام نفسه(١٦٠)، فقد ذكر ابن الصغير أن ابي يقظان توجه مع مجموعة من أقاربه إلى الإمام أبي بكر قائلين له "ما تحسب أنك تعلم مجئ ابن عرفة إذا جاء فيمن يجئ ولا انصرافه، إذ انصرف فيمن انصرف"(١٦١)، فلما سمع أبو بكر شق صدره وأراد أن يتأكد من صدق عيونه ففتح طاقة في أعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها ابن عرفة، فلما أصبح جلس في الطاقة فبينما هو كذلك إذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس إليه من كل جانب وذلك كله

بعين أبو بكر، وأقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم، حتى أتى الباب فنزل أبو بكر من طاقته إلى مجلسه وقد هاله ما رأى ثم دخل أبو اليقظان فثبت له صدق ما قصه عليه(١٦٢)، وبذلك أصبح أبو بكر عيناً لنفسه يتأكد من صدق ما سمع، إلا أنه تيقن منه فدبر قتله غدراً عندما دعاه إلى خلوة في بعض متنزهاته وأغرى أحد خدامه بقتله أثناء استعداده لصلاة المغرب وإخفاء جثته(١٦٣)، وبمرور الوقت تغيب ابن عرفه عن زوجته وذويه فبعثوا عيناً يتحسس خبره ويتعرف إن كان وصل أبو بكر إلى داره أم لا فرجع العين وأخبرهم بوصوله، في حين لم يصب لابن عرفة خبراً ولا أثراً فانتشر الخبر بين أهله وأحبائه الذين خرجوا على الموضع الذي كان فيه مصرعه(١٦٤)، فاضطرمت النار بين أنصار ابن عرفة من العرب وأبو بكر بن أفلح وأنصاره من الفرس(١٦٥)، والتي أوشكت أن تقضي على الدولة الرستمية بنهاية إمامة أبو بكر ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م، والذي بقي في داره لا يأمر ولا ينهى، وبداية إمامة أبو اليقظان(١٦٦)، ومما لا شك فيه أن الأغالبة قد لعبوا دوراً فعالاً في إضرام نيران هذه الحرب الأهلية في تاهرت بإذكاء عيونهم فيها، وهو ما ذكره باحث محدث بقوله "فقد اندس بينهم عدد من جواسيس الأغالبة الذين قاموا في الدولة الرستمية بأعمال الطابور الخامس، بهدف تقويض هذه الدولة والقضاء عليها، وكان لخلف الخادم مولى الأغلب بن سالم دور خطير في القيام بمثل هذه الأعمال"(١٦٧)، وهو ما ذكره ابن الصغير بقوله "كانت له أموال عظيمة فأعان القوم بنفسه وماله"، بل كان خلف المحرض الأول للعرب والجند لإحراق درب النفوسيين ليقحمهم في الحرب، وقوله "وكانت العرب والجند إذا غلبت على العجم أخرجتها من بعض ديارها في حالها فقال خلف الخادم: وما تصنعون شيئاً إذا غلبتم على شئ من ديارهم فاضرموه ناراً، فلما كان اليوم الثاني وقع الحرب فيه بجوار درب النفوسيين ..... وكان أكثره من العجم وبعض لنفوسة وأضرمت الدرب ناراً فغضبت نفوسة"(١٦٨).

وعلى الرغم من ما سبق فلم يأل الأئمة الرستميون جهداً في أتباع سياسة إذكاء العيون (الجواسيس) تأسياً بالإمام عبد الوهاب بن رستم ومن بعده ابنه أفلح مما حافظ على نجاح سياستهم طوال فترة حكمهم وهو ما أشار إليه النفوسي بقوله "وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطرق سياسية وتدبيرات باطنية، كفته مؤونة القتال، قامت مقام تجنيد الجنود، وسفك دماء الأبطال، شأن من تقدم من حكماء الملوك الذين حنكتهم التجارب، وكرعوا في بحار الحكمة، واغترفوا من حياض السياسة البالغة من آبائه وأجداده وغيرهم"(١٦٩).

وكما أن لكل دولة أطواراً كما قال ابن خلدون[١٧٠]، فقد بلغت الدولة الرستمية هرمها بهزيمتهم في موقعة مانو ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م على يد الأغالبة شكلت بها هذه الموقعة نقطة الختام التاريخي للرستميين[١٧١]، مما أوقعها فريسة سهلة بين فكي أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ – ٩٠٩ م بقتل آخر أئمتها يقظان بن محمد بن أبي يقظان ابن أفلح (٢٩٤ – ٢٩٦ هـ / ٩٠٧ – ٩٠٩ م)[١٧٢] الذي خرج إلى أبي عبد الله ظناً منه أنه سيمنحه الأمان فقال لليقظان "ما اسمك، فقال له اسمي يقظان، فقال الحجائي (أبو عبد الله الشيعي) اسمك حيوان فكيف قتلتم أميركم وسلبتم لأنفسكم ملكه وأطفيتم نور الإسلام وألقيتم إلينا بأيديكم بغير قتال ولا حصار[١٧٣]، ثم أمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وذلك في شوال سنة ٢٩٦ هـ"[١٧٤].

ولا شك أن معرفة أبو عبد الله الشيعي بدقائق أمور الرستميين ترجع إلى دوسر بنت الإمام أبى حاتم يوسف بن محمد اليقظان (٢٨١ – ٢٩٤ هـ / ٨٩٤ – ٩٠٧ م) التي أصبحت عيناً لأبي عبد الله الشيعي، لأنها كشفت له أخبار الرستميين ومدى ضعفهم خاصة إبان مقتل والدها أبو حاتم يوسف محاولة الانتقام من بني عمومتها الذين غدروا به وقتلوه في شخص أبي اليقظان[١٧٥]، وهو ما يستند إليه الباحث من خلال قول باحث محدث "مما يفهم منه أن السيدة دوسر كانت المحرضة للشيعي على فتح تاهرت[١٧٦] من خلال ما ذكره أبو زكريا كما سبق"[١٧٧] هذا بالإضافة إلى بعض وجوه فرق الشيعة والواصلية والصفرية الذين أصبحوا هم الآخرين عيوناً لأبي عبد الله حين توجهوا إليه أثناء طريقه إلى سجلماسة ماراً بتاهرت، وقدموا له الشكاية في يقظان ووعدوه بأن يصبحوا أنصاراً له، لأنهم رغبوه في استئصال شأفة هذه العائلة كلها وانتزاع الأمر من أيديهم، لأنه لا رجال ولا عسكر لليقظان ولا قوة له إدبار الناس بما وقع من قتل الإمام أبي حاتم يوسف، وبذلك يكون تعدد المذاهب داخل الدولة الرستمية قد أضحى سبباً رئيسياً من أسباب انهيارها رغم اتخاذها معقلاً وموطناً لهم إلا أنهم سرعان ما أصبح بعضهم عيوناً للفاطميين يتسابقون في نقل أخبارها تحسباً لارتقاء شعاعهم في ظل دولة جديدة[١٧٨]، بدأت باستيلاء الشيعي على تاهرت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م[١٧٩]، وفي اعتقاد الباحث أنه لم تكن تاهرت ضمن خطة فتوحاته آنذاك بل كان هدفه الرئيسي هو إنقاذ أبي عبد الله المهدي المحبوس في سجلماسة على يد أميرها اليسع بن أبي مدرار خاصة بعد خروجه من رقادة وحصار الأغالبة هناك ثم العودة ليس لتاهرت فقط بل لكل بلاد المغرب التي لم تقع تحت السيطرة الشيعية، إلا أن دور دوسر بنت أبي حاتم يوسف وبعض وجهاء الشيعة والواصلية والصفرية هم الذين ساعدوه على إلتهامها بعدما أخبروه

بالانهيار السياسي والخلافات المذهبية داخل دولتهم، فأهدوها له لقمة سهلة التهمها وهو في طريقه.

الخاتمة

مما سبق عرضه نستطيع الوقوف على عدد من النتائج:

الإسلام أقر عملية التجسس واستخدام العيون ما دامت في نطاق من الشرعية الحتمية للفرد والجماعة، مبعداً عن هذه العملية صفة الرهبة التي صورها البعض على أنها شبح مخيف ضد الإسلام .

تم كشف النقاب عن أهمية الدور المنوط بالعيون والجواسيس في الدولة الإباضية فى المغرب الإسلامي.

تعتبرأعمال التجسس لازمة فى السلم والحرب لكل جيش سواء أكان ذلك في مرحلة "ما قبل الحرب"، أو مرحلة "قيام الحرب" لدراسة ظروف المعركة قبل خوضها دراسة مكانية ولوضع خطة سليمة تكفل النصر.

أنه من الضرورة اتباع الحنكة السياسية والفطنة في معاملة عيون الأعداء، متخذين معهم طريق اللطف واللين إما لتجنيدهم ، أو مما يتحصلون عليه من أخبار وقياس مدى أهميتها لهم.

من الواجب التفنن في ابتكار طرق جديدة للتجسس فهو أمر ضروري ومطلوب.وكذلك براعة القائد في استخدام حيله الماكرة ضد أعدائه وإحراز نصراً ميسوراً وهو في مكانه، كالتشكيك في بعض الأعداء .

تعدد مصادر جمع المعلومات التي مثلها الباحث في الرسل والسفراء، الأسرى، أهالي البلاد المفتوحة، التجار والمسافرون والحجيج ثم العبيد، في حين جاء حرص المسلمين على دولتهم من أعدائها أن يتخذوا عدة إجراءات وقائية لمواجهة جواسيس الأعداء.

إرسال أكثر من عين (جاسوس) إلى المكان المراد، دون أن يتعرف أي منهما على الآخر بالإفصاح عنه إذا شدد عليه العذاب.

أن تشعر الدولة العين (الجاسوس) أنها على مقربة منه، وتتفنن طرق للاتصال به لا يفطنها العدو، فيشعر بالأمان والطمأنينة إن حدث له مكروه فيتوقع إنقاذه بسرعة إخراجه من البلاد.

هوامش البحث:

(١) هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي النجيبي مولى كنده، وينتسب إلى قبيلة ملزوزة البترية؛ النويري: المصدر السابق، جـ ٢٤، ص ٧٩؛ انظر أيضاً معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٦٠.

(٢) هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي النجيبي مولى كنده، وينتسب إلى قبيلة ملزوزة البترية؛ النويري: المصدر السابق، جـ ٢٤، ص ٧٩؛ انظر أيضاً معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٦٠.

(٣)الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي طبعة – بغداد ١٩٨٤ م ح ٢ / ٢٥٥ .

(٤) محمد بن الحسن الأزدي ، جمهرة اللغة ، طبعة الهند ١٣٤٥ هـ ، ح ٣ / ١٤٥ .

(٥) ابن منظور محمد بن المكرم ، لسان العرب ((جسس)).

(٦)الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس ((جسس)).

(٧)ابن منظور محمد بن المكرم ، لسان العرب ((جسس)).

(٨) مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، شرح محمد الذهبي ، طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة ١٣٧٧ هـ ٢ / ١٤٠.

(٩) الشوكاني ، محمد بن علي ت ١٢٥٥ هـ ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة بدون تاريخ ج ٨ / ١٠ وأحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، فتح الباريّ بشرح صحيح البخاريّ ، المطبعة السلفية القاهرة بدون تاريخ ح ٦ / ١٦٨.

(١٠) الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ٦ / ٥.

(١١) محمد بن القاسم ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، طبعة بغداد ١٩٨٧ ، ج ١ / ٤٧٣ – ٤٧٤.

(١٢) محمد راكان الدغمي ، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية – طبعة دار السلام . القاهرة ١٩٨٥ . ص ٢٩ .

(١٣)عبد الفتاح الصعيدي ، الإفصاح في فقه اللغة ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ ح ١ / ٢٣٥ ، ٢٣٨ .

وصديق حسن خان ت ١٣٠٧ هـ ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، طبعة دار الأنصار – القاهرة بدون تاريخ ح ٥ / ٤٠ .

(١٤) عماد الدين بن كثير ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، طبعة عيسى الحلبي القاهرة (د . ت) ج٤ / ٢١٣ وطبعة دار العروس ح ٤ / ١١٩.

(١٥) القلقشندي ، أبو العباس أحمد القلقشندي ، صحيح الأعشى طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بدون تاريخ١٠/ ٢١٤ .

(١٦) عبدالله على السلامة، الإستخبارات العسكرية في الإسلام، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٩١،م.ص٣٠١-٣٠٢

(١٧) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ت ٥٨١هـ ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، طبعة دار المعرفة – بيروت ١٩٧٨ ح ٣ / ٤٣ .

– وسيد قطب ، في ظلال القرآن مجلد ٥ ح ١٣ ص ٤٤ .

– ومحمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٢ م . ح ١٢ ص ٣٢ .

– وعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار المعرفة – بيروت ١٩٨٠ م . ح ٢ / ٤٨٨ .

– ومحمد أحمد جاد المولى ، قصص القرآن ، طبعة المكتبة الأموية ، بيروت بدون تاريخ ص ١٠٣ .

(١٨) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن ، طبعة الحلبي وأولاده – مصر ١٣٥٠ هـ ح ١٢ / ٨٦ .

– ومحمد بن جرير الطبري ، جامع البيان ح ١٩ / ٩٢ .

(١٩) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ح ٢ / ٢٥ ، ٢٦ . القصص آية (١١ ، ١٢) .

(٢٠) أخته : هي مريم بنت عمران .

(٢١) قصية : اتبعي أثره واطلبيه ، وقيل : اتبعي أثره حتى تعلمي خبره .

(٢٢) **الإباضية**: هم إحدى الفرق الإسلامية، وأقرب فرق الجماعة الإسلامية لاعتدال مذهبها وتسامحها مع مخالفيها، وهي جماعة قائمة بذاتها في الإسلام، إلى جانب مذهبي السنة والشيعة، لها عقائدها وشرائعها التي تتفق بوجه عام مع أهل السنة، وتنتسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض المري التميمي، الذي تعزي إليه المصادر دوراً ثانوياً بالمقارنة بجابر بن زيد الأزدي مؤسس المذهب الحقيقي، وكان أول ظهورهم بالبصرة إبان عملية التحكيم، حيث رفض نفر من جند علي بن أبي طالب قبوله التحكيم ؛ الرقيش: مصباح الظلام، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٠٥٤٩ ب، ورقة ٢٠؛ الأصفهاني: حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٩٦ م، جـ ٣، ص ص ٨٥ – ٩١؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥ م، جـ ٤، ص ٤٣٤ – ٤٣٥؛ انظر أيضاً سالم السيابي: إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء، تحقيق: سيدة كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٧٩ م، ص ص ١٤ – ٢٣؛ السيد الإباضي: الهدية الأولى الإسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء، المطبعة البارونية، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ص ٧٩؛ ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ١٤٥.

(٢٣) جبل نفوسة: هو امتداد لسلسلة جبال أطلس المعروفة بجبال دراند في المغرب الأقصى، والتي تمتد من الغرب إلى الشرق، ويمثل هذا الجبل الظاهرة المورفولوجية البارزة في شمال غرب ليبيا على اعتبار أنه يواجه الشمال بحافة هضبة مقوسة تقدر بنحو ٢٠٠ كم بين الجبل التونسي في الغرب إلى جبل غريان شرقاً متخذاً مثلث قاعدته في الغرب ورأسه في الشرق ومن أشهر مدنه شروس وجاو، وأما سبب تسميته بهذا الاسم فيرجع إلى قبيلة نفوسة البربرية البترية التي سكنته؛ البكري: المغرب، ص ١٦٠؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، جـ ٣، ص ٣٢٠؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، د.ت، ص ٤٢٧؛ انظر أيضاً جودة حسنين جودة: جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣ م، ص ٢٧٦، عبد العزيز شرف: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي – إقليم شمال إفريقيا (ليبيا)، الإدارة العامة للثقافة والنشر، السعودية، ١٩٩٧ م، مج ٩، ص ٥٠؛ عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، المكتبة المصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٩ م، ص ١٨.

Serrono Villlard (Henry): Libya the new arab kingdom of north Africa, Fthalca, New Yourk, 1965, p. 128.

(٢٤) عون: الفن الحربي، ص ٢١٨.

(٢٥) أبو زكريا: يسر الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ١٤؛ انظر أيضاً محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام – رؤية عصرية، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٣١؛ محمد عليان: نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد وعلاقتها بالخوارج، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٤ م، ص ٨٠.

(٢٦) النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق: محمد الصيلبي، الرباط، ١٩٧٣ م، ص ٣٥.

(٢٧) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، البليدة، الجزائر، ١٩٧٤ م، جـ ١، ص ٢٠؛ أنظر أيضاً محمود إسماعيل: الحركات السرية، ص ٣١؛ البوسعيدي: حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية، منشورات دائرة الوعظ والبحوث الإسلامية، مسقط، ٢٠٠٣ م، ص ١٦؛ عوض خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، مطبعة دار الشعب، عمان – الأردن، ١٩٧٨ م، ص ٥٢.

(٢٨) الحيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمرو النامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص ٤؛ انظر أيضاً علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٤ م، جـ ١، ص ١٤٥.

(٢٩) هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريم (٤٥ – ١٤٥ هـ / ٦٦٥ – ٧٦٢ م) مولى بني تميم وأحد تلاميذ جابر بن زيد البارزين، ظل يتلقى العلم أربعين عاماً ثم تفرغ لتعليمه بسجن الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم أفرج عنه ليكون له الدور الأبرز في نشر المذهب في المشرق والمغرب؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ص ٧٨ – ٨٠؛ الجناوي: كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تعليق: إبراهيم أطفيش، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.ت، ص ٢٩؛ أحمد محمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٦٥.

(٣٠) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٣٥؛ انظر أيضاً مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج ١، جـ ١، ص ٣٢١؛ صالح بن أحمد الصوافي: الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص ١٩٩.

(٣١) الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تعليق: محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤ م، ص ١٨.

(٣٢) محمد حسن: حول إحدى القبائل البربرية نفوسة، عدد (٥ – ٦)، ص ١٠٧.

(٣٣) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٣٥؛ انظر أيضاً مؤنس: تاريخ المغرب، مج ١، جـ ١، ص ٣٢١؛ الصوافي: المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٣٤) الأنصاري: المصدر السابق، ص ٧؛ وانظر جورج مايسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، جـ ١، ص ١٠.

(٣٥) حملة العلم هم الأشخاص المكلفون بنشر المذهب الإباضي من منبعة الأصلي بالبصرة إلى باقي الأقاليم الإسلامية، وحملة العلم بالمغرب خمسة هم عاصم السدراتي من غرب الأوراس، وأبو داود النفزاوي من نفزاوة جنوب إفريقية، واسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس، وعبد الرحمن بن رستم من القيروان وأبو الخطاب المعافري إمام جبل نفوسة الذي تولى إمامة الظهور فيما بعد؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ١١٣؛ انظر أيضاً البوسعيدي: حملة العلم في المغرب، ص ص ٢١ – ٣٥؛ محمد العقيلي: الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر التاريخ حتى مطلع العصور الحديثة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٣١.

(٣٦) الجربي: مؤنس الأحبة في أخبار جربة، تحقيق: محمد المرزوقي، المطبعة الرستمية، تونس، ١٩٦٠ م، ص ٤٥.

(٣٧) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، جـ ١، ص ١١؛ انظر أيضاً السيد سالم: المغرب الكبير، ص ٥٣٥.

(٣٨) اسماعيل: الحركات السرية، ص ٣٢.

(٣٩) الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١١٥؛ انظر أيضاً سالم السيابي: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، تحقيق: سيدة كاشف، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٧٩ م، ص ٤٥.

(٤٠) أبو زكريا: يسر الأئمة وأخبارهم،ص ٦٠.

(٤١) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ٧٠؛ انظر أيضاً عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة العرب، تونس، ١٣٤٤ هـ ، ١٦٧.

(٤٢) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ص ١٤١ – ١٤٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٢٨١؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ص ٧٢ – ٧٣.

(٤٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٦٠؛ الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٢٧.

(٤٤) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ص ص ٧٩ – ٨٠؛ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية، ترجمة: محمد مزالي وآخرون، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٨ م، جـ ٢، ص ٣٨؛ Corneirn (R): histoire del'afrique, Paris, 1967. p. 263

(٤٥) الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨؛ انظر أيضاً السيد سالم: المغرب الكبير، ص ٥٣٦.

(٤٦) حيث صارت طرابلس كلها من خليج سرت إلى قابس ومن البحر شمالاً إلى الصحراء الكبرى بما فيها فزان جنوباً منضوية تحت إمامة 'أبي الخطاب المعافري'؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ١١٨؛ انظر أيضاً محمد دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٣.

(٤٧) جميل السدراتي: هو أحد جنود أبي الخطاب بن عبد الأعلى المعافري خرج عليه إبان حربه مع ورفجومة نتيجة سلبه كساءة سقسارية، وقيل جبة حرير من أحد قتلى ورفجومة، فنادى أبي الخطاب بردها، فلم يردها السارق فدعا عليه أبو الخطاب بأن يفضح الله أمره، فاستجاب الله لدعائه، فأثناء تنظيم حلقة سباق للخيل نظمها أبو الخطاب فقطع سرج السدراتي حين سابقه، ووقعت الكساءة أمام أعين الناس، فأتى أبو الخطاب وأدبه ، فأثار حنق السدراتي مما جعله متحيزاً لأبي جعفر المنصور ليثيره ضد أبي الخطاب، ويدلي له ببعض أخباره وخططه؛ الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٣١؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ١١٧.

(٤٨) الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١.

(٤٩) الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١١٨؛ انظر أيضاً حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، مكتبة المنار، تونس، ١٩٢٤ م، ١٣٥؛ دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٨.

(٥٠) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص ٦٦؛ دبوز: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٢.

(٥١) سرت: مدينة كبيرة تقع شرق طرابلس بنحو ٥٤٥ كم تقريباً، وتبعد عن ساحل البحر بحوالي ٣ كم؛ البكري: المغرب، ص ٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، جـ ٢، ص ٢٩٨؛ انظر أيضاً الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٦.

(٥٢) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ٧١.

(٥٣) ذكر ابن عذاري أن جموع أبو الخطاب قد بلغت مائتي ألف مقاتل، وقد تبين مدى مبالغة هذه الرواية خاصة لانفراد ابن عذاري بها دون غيره من المؤرخين؛ المصدر السابق، جـ ١، ص ٧١؛ بالمقارنة بابن الأثير الذي لم يحدد عدد هذه الحشود، بل أشار إلى كثرتها فحسب؛ الكامل، جـ ٤، ص ٢٨١؛ في حين أشارت معظم المصادر التاريخية إلى أن عدد جيش أبي الخطاب لا يزيد عن ٩٠ ألف جندي، وهو ما يميل إليه الباحث، خاصة وأن طاقة الإباضية وهي دويلة ناشئة لم تكن قد بلغت هذا الحد الكبير من العدة التي ذكرها ابن عذاري في هذا الوقت؛ أبو زكريا: المصدر السابق، ص ٦٨؛ الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٣٣؛ انظر أيضاً عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، بدون دار نشر، عمان، ١٩٧٨ م، ص ١٥٣.

(٥٤) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٨١.

(٥٥) ابن عذاري: نفسه، جـ ١، ص ٧٢.

(٥٦) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٣٢.

(٥٧) الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٢؛ انظر أيضاً عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص ١٥٣.

(٥٨) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص ٦٧؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ٧٥.

(٥٩) ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٨١؛ انظر أيضاً دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ١٣.

(٦٠) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١١٩؛ انظر أيضاً دبوز: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٤.

(٦١) الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٣؛ انظر أيضاً عوض خليفات: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٦٢) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١١٩؛ انظر أيضاً عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة في القرن الثاني والثالث الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ص ٧٨.

(٦٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٦٨؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ١، ص ٣٥٢.

(٦٤) معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٤٢؛ الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص ١٢٠؛ Norris (H.T): The berbers in Arabic literature, London, 1980, p. 74

(٦٥) كان جند أبي الخطاب يتراوح عددهم ما بين اثنى عشر إلى أربعة عشر ألفاً؛ أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص ٦٩؛ الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، جـ ١، ص ٣٤؛ الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٠.

(٦٦) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٣٤؛ الشماخي: نفسه، جـ ١، ص ١١٩.

(٦٧) **تاورغة**: أو تاورغا، موضع يبعد عن شرق طرابلس بنحو ١٩٠كم تقريباً؛ الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٣٤؛ أنظر أيضاً دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ١٧.

(٦٨) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ٦٩؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ٧٤؛ أنظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ١، ص ٣٥٢.

(٦٩) عون: الفن الحربي، ص ٢١٨.

(٧٠) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٦٩؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ٧٤.

(٧١) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٣٤.

Norris(HIT): the berberian Arabic literature, p.74

(٧٢) هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي النجيبي مولى كنده، وينتسب إلى قبيلة ملزوزة البترية؛ النويري: المصدر السابق، جـ ٢٤، ص ٧٩؛ انظر أيضاً معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٦٠.

(٧٣) دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ١٨.

(٧٤) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ٧٤؛ انظر أيضاً تادايوس ليفيتيسكي: دراسات شمال إفريقية، ترجمة: أحمد بو مزقو، مؤسسة تاوالت الثقافية، كاليفورنيا، الولايات المتحدة، ٢٠٠٤ م، جـ ١، ص ٩٣.

(٧٥) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٢١؛ الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، القاهرة، ١٩٦١ م، جـ ١، ص ٥٥؛ انظر أيضاً الطاهر الزاوي: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح، د.ت، ١٩٧٠ م، ص ٤٩.

(٧٦) أبو زكريا: ، ص ٧٤؛ الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٧.

(٧٧) النويري: نفسه، جـ ٢٤، ص ٧٩.

(٧٨) الصفرية: ينتسبوا إلى عبد الله بن صفار ومنهم من ذكر أنه زياد بن الأصفر، وهو ما اتفقت عليه كتب الفرق، وفي تقدير الباحث المتواضع أن زياد بن الأصفر هو عبد الله وذلك حيث أن من عادة العرب المسلمين إضافة اسم عبد الله إلى بعض الأسماء بإطلاق الصفة على المعنى في حين يرجع البعض الآخر سبب تسميتهم

بالصفرية نظراً لكثرة العبادة التي أدت إلى اصفرار ألوانهم، وهم أقل تطرفاً من الأزارقة في آرائهم، ولا يبيحون قتل النساء أو أطفال مخالفيهم؛ المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تعليق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧رم، جـ ٣، ص ٢٠١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣ م، جـ ١، ص ١٨٧؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩ م، جـ ١، ص ١٣٧؛ انظر أيضاً النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠ م، ص ١٩٥؛ الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٧٤؛ مرفت عزت يالي: نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية "تحليلاً ونقداً" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٩٨.

(٧٩) النويري: نهاية الأرب، ص جـ ٢٤، ص ٨٠.

(٨٠) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٤٥.

(٨١) حيث ذكر أن عمر بن حفص قال لمن معه من الجند "قد كان أصابكم من الجهد أمر عظيم حتى قدمت عليكم، ففرج الله عنكم بعض ما كنتم فيه، وقد ترون ما أنتم الآن فيه، فإن شئتم خرجت على ذراريهم وبلادهم، وجعلت عليكم أي الرجلين شئتم: جميلاً أو المخارق وأخرج في ناس من الجند، فأغير على نواحيهم، ونحتكر الميرة قالوا 'قد رضينا' فلما هم بالخروج قالوا 'تريد أن تخرج أنت ونبقى نحن في الحصار' فقال أقيم معكم أسرح جميلاً أو المخارق ومن احببتم وأخرج انا في أناس من الجند، وأغير على نواحيهم، قالوا: نعم، فلما جاء إلى باب المدينة قالوا: تخرج انت ونقيم نحن لا نفعل، فغضب عمر وقال: والله لأوردنكم ونفسي حياض الموت" ؛ القيرواني: المصدر السابق، ص ١٤٥؛ انظر أيضاً سعد زغلول: المغرب العربي، جـ ١، ص ٣٦٤.

(٨٢) هو أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيضة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولاه أبو جعفر المنصور على جيشه لإنقاذ عمر بن حفص ابن عمه من حصاره السابق ذكره، وكان جواداً كريماً لذا قيل فيه:

لشتان ما بين اليزيدين في الندا يزيد بن سليم والأغر بن حاتم الباجي المسعودي: الخلاصة النقية، ص ٢٠؛ محمود مقديش: نزهة الأنظار، جـ ١، ص ٣٢٠.

(٨٣) النويري: المصدر السابق، جـ ٢٤، ص ٨٣.

(٨٤) نفسه، جـ ٢٤، ص ٧٩.

(٨٥) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ٧٦.

(٨٦) السلاوي: الاستقصا، جـ ١، ص ١١٨.

(٨٧) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٤٥؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب، جـ ١، ص ٣٦٦.

(٨٨) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٢٢؛ انظر أيضاً محمود اسماعيل: الخوارج، ص ٩٣.

(٨٩) الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٣؛ انظر أيضاً دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٧٥.

(٩٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٣.

(٩١) النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ٨٥؛ انظر أيضاً عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص ٩٤.

(٩٢) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ٧٩؛ انظر أيضاً خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص ١٦٥.

(٩٣) معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٧٥.

(٩٤) الشماخي: نفسه، جـ ١، ص ١٤٢.

(٩٥) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ١٦٩؛ انظر أيضاً محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص ١٥٣؛
Despais (Jean): le djebel (tripaitaine) Etude Geographique, Paris, 1935, p.80

(٩٦) محمود اسماعيل: الخوارج، ص ١٥٣.

(٩٧) البغطوري: سيرة أهل نفوسة، مخطوط حصل عليه الباحث من أحد أصدقائه من جزيرة جربة، مكتبة أحمد الفسطاطوي، تونس، د.ت، ورقة رقم ١٤٦؛ أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١١٤؛ انظر أيضاً عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص ٩٧، هامش رقم (٥).

(٩٨) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٢٣٩.

(٩٩) **النكار**: ظهرت هذه الفرقة عندما أحس عبد الرحمن بن رستم يدنو أجله فجعل الإمامة شورى بعده في سبعة نفر تأسياً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان منهم ابنه عبد الوهاب، وذلك بدءاً من عام ١٧١ هـ / ٧٨٧ م، وسميت هذه الفرقة بالنكار لأنهم نكروا إمامة عبد الوهاب في حين سمي مؤيديه بالوهابية وهم جمهور الإباضية؛ أبو غانم الخراساني: مجموعة أولها مدونة أبو غانم، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٨٢؛ ب، ورقة رقم ٢؛ انظر أيضاً عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين الخوارج – الإباضية – الشيعة؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ص ١٩٨ – ٢٠٣؛ مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨ م، ص ٥٠.

(١٠٠) هم مسعود الأندلسي وكان رجلاً فقيهاً ورعاً من شيوخ المسلمين، وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفراني، ورجل يقال له عمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن، أبو الموفق سعدوس بن عطية، شكر بن صالح الكتامي، ومصعب بن سدمان؛ أبو زكريا: سير الأئمة، ص ص ٨٤ – ٨٥؛ انظر أيضاً عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ٩٦؛ صابر طعيمة: الإباضية عقيدة ومذهباً، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٥٠.

(١٠١) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ٨٥؛ انظر أيضاً طعيمة: المرجع السابق، ص ٥٠.

(١٠٢) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٥٢؛ انظر أيضاً عبد المقصود باشا: الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، وهران، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ٤٠.

(١٠٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٩٥؛ الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٣.

(١٠٤) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٣٣؛ انظر أيضاً محمد عيسى الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي – الدولة الرستمية ١٦٠ – ٢٩٦ هـ، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣ م، ١١٨.

(١٠٥) الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٥٤؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٣٤.

(١٠٦) **الواصلية:** إحدى فرق المعتزلة ورئيسها واصل بن عطاء الذي اعتزل الحسن البصري عندما قال بالمنزلة بين المنزلتين، وأن الفاسق في الإسلام لا هو مؤمن ولا هو كافر، وكان أغلب المعتزلة الواصلية في الدولة الرستمية من قبيلة زناته الذين كانوا يسكنون الخيام وينتجحون المراعي، فكان عددهم في شمال تاهرت نحو ثلاثين ألفاً ينتشرون من شمالها حيث مدينة مستغانم إلى وهران، وفي جنوبها في تيلغمت وفي الصحراء في مدينة العطفاء والفيحاء بوادي ميزاب في جنوب الجزائر، لذا سميت هناك بمقبرة المعتزلة، ولقد نال الواصلية الحرية تحت رعاية الرستمية، كما تمتعت بها الفرق الإسلامية الأخرى كالمالكية والصفرية؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ٤٠ – ٤١؛ البكري: المغرب، ص ٦٧؛ انظر أيضاً عبد الرحمن سالم: التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ٥٣.

(١٠٧) الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٥٧؛ النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ١٦٨.

(١٠٨) النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ص ١٦٨ – ١٦٩؛ انظر أيضاً الحريري: المرجع السابق، ص ١٢١.

(١٠٩) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٠٢؛ الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٣٧.

(١١٠) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ١٧٠.

(١١١) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ١٠٤؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ٢، ص ٣٢٧.

(١١٢) الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٣٧.

(١١٣) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٥٩.

(١١٤) سعد زغلول: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣٢٩.

(١١٥) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ١١٦.

(١١٦) الشماخي: نفسه، جـ ١، ص ١٤١؛ انظر أيضاً توري روس: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ م، ترجمة: خليفة التليس، الدار العربية، طرابلس، ١٩٧٣ م، ص ٨١.

(١١٧) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٤١؛ النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ١٩٧؛ انظر أيضاً عبد الله الباروني: رسالة سلم العامة المبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مطبعة النجاح، القاهرة، د.ت، ص ١١٣.

(١١٨) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١١٦؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ٢، ص ٣٣٢.

(١١٩) نصت هذه الهدنة على أن يكون الساحل كله من الجنوب إلى صفاقس إلى خليج سرت للرستميين، أن تكون مدينة طرابلس والبحر للدولة الأغلبية؛ الشماخي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤١؛ انظر أيضاً دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٢١٢؛ محمد بن تاويت: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، بحث ضمن مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٧ م، عدد ٢٢١، ص ١٦.

(١٢٠) الشماخي: نفسه، جـ ١، ص ١٤١؛ انظر أيضاً عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، ص ١٩٠.

(١٢١) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٦٦؛ انظر أيضاً دبوز: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٥٠٧؛
Goutier (E.F.): le passé del'Afrique du Nord, paris, 1942, p. 320.

(١٢٢) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٦٩؛ انظر أيضاً طعيمة: الإباضية عقيدة ومذهباً، ص ٦٠.

(١٢٣) النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠١؛ انظر أيضاً ليفينيسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرار وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠٥.

(١٢٤) الشماخي: نفسه، جـ ١، ص ١٥٧؛ النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠٥.

(١٢٥) معمر: الإباضية في موكب التاريخ، جـ ٢، ق ١، ص ٨٩؛ زامباور: معجم الأنساب، جـ ١، ص ١٠١.

(١٢٦) محمود اسماعيل: الخوارج، ص ١٦٤.

(١٢٧) نفسه، ص ١٦٥.

(١٢٨) الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٢٠٩.

(١٢٩) نفسه، جـ ٢، ص ٢١٠.

(١٣٠) الوسياني: سيرة أبو الربيع الوسياني، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩١١٣ ح، ورقة ٣٠؛ وانظر محمود اسماعيل: نفسه، ص ١٦٥؛ عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص ١١٥.

(١٣١) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٧١.

(١٣٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٢٦.

(١٣٣) الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧٢؛ انظر أيضاً إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا، بنغازي، ١٩٦٧ م، ص ٧٢.

(١٣٤) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ١٢٨.

(١٣٥) الشماخي: السير، جـ ١، ص ١٥٩؛ ليفينيسكي: تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، دراسة في لسنية الأنوميا والطوبونوميا الأمازغيية، ترجمة: عبد الله رارو، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ت، ص ١١٦.

(١٣٦) النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣٩.

(١٣٧) أبو زكريا: نفسه، ص ١٣٣.

(١٣٨) الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٧٥.

(١٣٩) أبو زكريا: نفسه، ص ١٣٤؛ الدرجيني: نفسه، جـ ١، ص ٧٦.

(١٤٠) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، س ٣٣٩.

(١٤١) نجحت هذه السياسة في إضعاف مركز هذه القبائل وإبطال ما كان يقوم بينهم من تحالف فأرش بين قبائل لواته وزناته، وما بين لواتة ومطماطة وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب وصارت كل قبيلة ملاحقة لأفلح من أن يعين صاحبتها عليها؛ ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٥٥؛ انظر أيضاً الحريري: مقدمات، ص ١٤٤.

(١٤٢) النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣٩؛ الحريري: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(١٤٣) نسبة إلى نفاث وهو اسم الشهرة الذي عرف به قائد الحركة فرج بن نصر النفوسي، وسمي بذلك نسبة إلى قريته نفاثة بجبل نفوسة وقد خرج على الإمامة بتاهرت لاستعمال الإمام أفلح لسعد بن أبي يونس والياً على قنطرارة مركز ثقل جبل نفوسة بدلاً منه؛ أبو زكريا: نفسه، ص ص ١٣٨ – ١٣٩؛ انظر أيضاً علي يحي معمر:

الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقاولات في القديم والحديث، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ١٩٨٦ م، جـ ٢، ص ٢١؛ ليفنيسكي: دراسات شمال إفريقية، جـ ١، ص ٦٣.

(١٤٤) معمر: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٣.

١٤٥ قد يكون الأشبر ما يتعلق بالوضوء، وجمعه مشابر وهي حزوز في ذراع يتبايع بها، وأنها تنخفض فيتأدى إليها الماء من مواضع جمع مشبر ومشبرة؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٥٢٩.

(١٤٦) طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٧٨.

(١٤٧) النفوسي: نفسه، جـ ٢، ص ٢٥٤.

(١٤٨) **قنطرارة**: تقع تحت جبل نفوسة على مسافة ٢٣ كم شمال كباو، إحدى مدن جبل نفوسة، وتسمى قنطرارة حالياً بـ "تيجس" خربها إبراهيم بن الأغلب عقب واقعة مانوا سنة ٢٨٣ هـ، النفوسي: نفسه، جـ ٢، ص ٢٥٣؛ انظر أيضاً معمر: نفسه، جـ ٢، ق ٢، ص ص ١٧١ – ١٨٠.

(١٤٩) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٢٥٥؛ انظر أيضاً معمر: الإباضية، جـ ٢، ص ٢٢ – ٢٣.

(١٥٠) منها إنكار خطبة الجمعة، وأن ابن الأخ أحق بالميراث من الأخ؛ ليفنيسكي: دراسات شمال إفريقية، جـ ١، ص ٦٣؛ عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، ص ص ١٠٠ – ١٠٢.

(١٥١) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٨٢.

(١٥٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص ٥٥.

(١٥٣) السيد سالم: المغرب الكبير، جـ ٢، ص ٥٥٩؛ عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص ١٤١.

(١٥٤) النفوسي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٢٤.

(١٥٥) نفسه، جـ ٢، ص ٣٢٥.

(١٥٦) سالم: المغرب الكبير، ص ٥٥٩.

(١٥٧) قصر من قصور الأولين على ساحل البحر، يقع غربي زوارة وشرق قابس، وهو مكان قامت فيه الحرب بين نفوسة وإبراهيم بن الأغلب والي إفريقية انتصر فيها الأغالبة على النفوسيين؛ البغطوري: سيرة أهل نفوسة، مخطوطة، ورقة ٧٣؛ أبو زكريا: سير الأئمة ص ١٥٦؛ دبوز: المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٥٩٤.

(١٥٨) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٨٩؛ انظر أيضاً عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص ١٤٢.

(١٥٩) ابن الصغير: المصدر السابق، ص ٦٣.

(١٦٠) ابن الصغير: نفسه، ص ٦٥؛ الدرجيني: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٣.

(١٦١) ابن الصغير: نفسه، ص ٦٥.

(١٦٢) نفسه، ص ص ٦٥ – ٦٦.

(١٦٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص ٦٧؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ٢، ص ٣٥٨.

(١٦٤) ابن الصغير: المصدر السابق، ص ٦٨.

(١٦٥) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ص ٢٨١ – ٢٩٠؛ انظر أيضاً الحريري: مقدمات، ص ١٥٩ – ١٦٠.

(١٦٦) ابن الصغير: نفسه، ص ٧٤.

(١٦٧) الحريري: المرجع السابق، ص ١٦١.

(١٦٨) ابن الصغير: نفسه، ص ٧١؛ انظر أيضاً الحريري: نفسه، ص ١٦١.

(١٦٩) النفوسي: الأزهار الرياضية، جـ ٢، ص ٢٣٩.

(١٧٠) العبر، جـ ١، ص ١٤٢.

(١٧١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص ١٥٥؛ الدرجيني: طيقات المشائخ، جـ ١، ص ٨٧.

(١٧٢) الدرجيني، المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٤.

(١٧٣) أبو زكريا: المصدر السابق، ص ص ١٦٩ – ١٧٠.

(١٧٤) ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ١٩٧؛ انظر أيضاً الحريري: المرجع السابق، ص ١٨٥.

(١٧٥) أبو زكريا: نفسه، ص ١٦٩؛ انظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ ٢، ص ٣٩٥.

(١٧٦) سعد زغلول: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣٩٥.

(١٧٧) أبو زكريا: نفسه، جـ ٢، ص ١٦٩.

(١٧٨) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٦٩؛ أنظر أيضاً الحريري: مقدمات، ص ١٨٤.

(١٧٩) الدرجيني: طبقات المشائخ، جـ ١، ص ٩٤؛ ابن عذاري: البيان، جـ ١، ص ١٩٧.